الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل الزبر الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل قوله عز
وجل كل نفس ذائقة الموت اى ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك
الموت قالوا يا رسول الله انما نزل فى بنى ادم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه
الاية وقيل لما خلق الله ادم اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها
فما احد يموت الا ويدفن فى التربة التى خلق منها **فان قلت** الحور والولدان نفوس
مخلوقة فى الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل فى قوله كل نفس ذائقة الموت **قلت**
لفظة كل لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتينا من كل شى ولم تؤت ملك سليمان فتكون
الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الاية وهو قوله وانما توفون اجوركم
يوم القيمة يعنى توفون جزاء اعمالكم يوم القيمة ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز يعنى فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجى من الخوف وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور يعنى ان العيش فى هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقا وسينقطع
عن قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدايم
والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوهم والغرور
ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الاية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه
الاشيا التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا
المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هى متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب
الاخرة فاما من اشتغل بطلب الاخرة فهى له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ق عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين زاد الترمذى
وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط احدكم فى الجنة
خير من الدنيا وما فيها واقروا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور قوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اى لتختبرن فتوقع عليكم
المحن ليعلم المومن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردى وذلك فى وصف الله محال
لان الله تعالى عالم بحقايق الاشيا كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار فى وصف
الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر فى اموالكم يعنى بالابتلا فى الاموال بالنقصان منها وقيل
باداء ما فرض فيها من الحقوق وانفسكم يعنى بالمصايب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشاير
خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدايد والمحن
ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه
الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
قال عكرمة نزلت فى ابى بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر
الى فنحاص سيد بنى قينقاع ليستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابى بكر لا تفتاتن على بشى حتى ترجع فجا
ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قراه قال فنحاص قد احتاج ربكم ان نمده
فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشى حتى ترجع فنزلت الاية

وقال

وقال الزهرى نزلت هذه الاية فى النبى صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودى وذلك انه كان يهجو
النبى صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم فى شعره ق عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله
قال نعم قال ايذن لى فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة
وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الان ان ندعه حتى
ننظر الى اى شى يصير امره قال وقد اردت ان تسلفنى سلفا قال فما ترهننى قال ترهننى
نساكم قال انت اجمل العرب انرهنك نسانا قال له ترهنونى اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال
رهن فى وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح قال نعم وواعدهم ان ياتيهم بالحارث
وابى عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته انى لاسمع
صوتا كانه صوت دم فقال انما هو محمد ورضيعى ابو نايلة ان الكريم لو دعى الى طعنة ليلا لاجاب
قال محمد انى اذا جا فسوف امد يدى الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل
وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتى فلانة اعطر نسا العرب قال فتاذن لى ان اشم
قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتاذن لى ان اعود قال فاستمكن من راسه ثم قال دونكم فقتلوه
زاد فى رواية ثم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازى فاختلف
عليه اسيافنا فلم تغن شيا قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا فى سيفى فاخذته وقد صاح عدو الله
صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى
بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحارث بن اوس بجرح فى راسه اصابه بعض اسيافنا
فخرجنا وقد ابطا علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا
فحملناه وجينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قايم يصلى فسلمنا عليه فخرج
علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجينا براسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا
فاصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم
به من رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل فى شان كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون
فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا
يعنى مشركى العرب اذى كثيرا يعنى بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنيا وما اشبه ذلك من
افترايهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين
فهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن احتمال الاذى والمكروه
يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه
والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى فان ذلك من عزم الامور اى من صواب التدبير الذى لا شك انه
الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اى الزمتك ان تفعله
لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى الزمتم الاخذ به قوله عز وجل
واذ اخذ الله اى واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى
والمراد منهم العلما خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلما والاحبار من اليهود خاصة واخذ
الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعنى

Copyright © King Saud University